ابن سينا

الشفاء

المنطق

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم المقدسة - ايران ١٤٠٥ هـ ق

ابن سينا

الشفاء

المنطق

٤ ـ القياس

راجعه وقدّم له

الدكتور ابراهيم مدكور

بتحقيق

سعيد زايد

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس

القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م



مَنشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم المقدسة ـ ايران ١٤٠٤ ق

الفهرس

القياس

المقالة الأولى

المقالة الثانية

المقالة الثالثة

المقالة الرابعة

المقالة الخامسة

المقالة السادسة

المقالة السابعة

المقالة الثامنة

المقالة التاسعة

مقـــدمة

للدكتور إبراهيم مدكور

يسير الذهن على نحوين متقابلين، فإما أن يدرك الأشياء مباشرة ودون واسطة، وإما أن ينتقل من نقطة إلى أخرى قبل أن يصل إلى الهدف، فيحدس حدسا، أو يفكر فى روية. وليس فى الحدس إذن لحظات ولا مراحل تفكير، وبالعكس فى "الروية" حركات ذهنية متلاحقة. والبرهنة أسمى مظاهر التفكير المروّى فيه، وأساسها نظام وترتيب وتحليل وتركيب، أو بعبارة أخرى تنسيق بعض الصور الذهنية للوصول إلى غاية. ولابد لها من ألفاظ أو رموز تعين على هذا التنسيق، فهى لاتستغنى عن اللغة، ومن هنا ارتبطت بالحياة الاجتماعية. فنحن نبرهن، لأننا نناقش ونقابل أفكارنا بأفكار غيرنا. وقد قيل: "إن البرهنة المنطقية نقاش ذهنى يستعيد داخليا المناقشات الخارجية"[1]. فللمجتمع شأن واضح فى نشأة البرهنة ونموها وتطورها.

والذهن فى برهنته يهبط ويصعد، يحلل ويركب، ينتقل من الجزئى إلى الكلى أو من الخاص إلى العام، وبالعكس. يتتبع الظواهر والجزئيات ليستخلص منها بعض القواعد والكليات، أو يصدر عن مبادئ وقوانين ومجرد مقررات ومسلمات؛ ليطبقها على مفردات وجزئيات، ويكشف عن مجهول. وبذا كانت البرهنة استقرائية أو قياسية، فى ثنائيـة يرد إليها جميع أنواع الاستدلال غير المباشر. وبين المنطق الاستقرائى والمنطق القياسى صلات ووجوه شبه كثيرة، ولكنهما يتميزان فى وضوح،

I. Piaget, le jugement et le raisonnement chez l'enfant, genève, 1924, PP. 296—270.

فينصب أحدهما بوجه خاص على المعرفة التجريبية ، وينصب الآخر على المعرفة العقلية .

والقياس الأرسطى ، أو "السلوجسموس" كما عربه مترجمو الإسلام، باب هام من أبواب البرهنة القياسية، قدّر له من النجاح والذيوع مالم يقدر لأية نظرية منطقية أخرى . عدّ فى التاريخ القديم والمتوسط قانون الفكر الأسمى ومنهج البحث العلمى الوحيد، وإذا كان قد نقد ونوقش فى التاريخ الحديث، فما ذاك إلا ليدعم ويستكمل. ثم جاء المنطق الرياضى فى التاريخ المعاصر، فعززه وأيده، يتحوان معامنحى صوريا، ويقومان على أساس من نظرية العلاقات وفكرة الأصناف والأنواع . قال برترند رسل بحق : "المنطق البحت والرياضة البحتة ليسا إلا شيئا واحدا[1]" .

(أ) التحليلات الأولى

عالج أرسطو نظرية القياس فى "كتاب التحليلات الأولى" الذى لم يشك أحد فى نسبته إليه، ويظهر أنه اهتدى إليها فى ضوء الجدل السوفسطائى والحوار السقراطى، وتأثر فيها بقسمة أفلاطون الثنائية ودراسات الأكاديمية الرياضية، ويحيل هو نفسه فى "كتاب التحليلات الأولى" غير مرة على كتابيه "الجدل" و"السفسطة"، مما يرجح أنهما أسبق وجودا ، ويشير إلى الصلة بينها. وقد حظى "كتاب التحليلات الأولى" بتقدير، وقداسة قل أن يحظى بها كتاب آخر فى المنطق. شرح وعلق عليه عدة مرات، وترجم إلى لغات كثيرة قديما وحديثا .

وقد عنى به العرب، فيما عنوا به من كتب أرسطو عامة والمنطقية خاصة، ترجموه

---

(1) B.Russell, Introduction to Mathematical Philosophy, London, 1919. P.229.

أكثر من مرة عن السوريانية تارة واليونانية تارة أخرى. وتضافر على ترجمته كثيرون، فى مقدمتهم إسحق بن حنين الذى تخصص فى ترجمة الكتب الفلسفية. ولم يقنعوا بترجمته وحده بل ترجموا معه بعض شروحه القديمة، وهى شرح الإسكندر الأفروديسى، وثامسطيوس، ويحيى النحوى[1].

واحتفظت لنا المكتبة الأهلية بباريس بنسخة منه تصعد إلى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى[2]، وقد نشرت أخيرا[3]. وهى ترجمة واضحة دقيقة، تؤدى الأصل أداء صادقا، ويمكن مقارنتها بأحدث الترجمات فى الإنجليزية أو الفرنسية. تعوّل على المصطلح العربي ما أمكن، وتستعين أحيانا بتعريب بعض الكلمات اليونانية، وفيها نقطة بدء صالحة لتاريخ المصطلحات المنطقية العربية.

وما إن ترجم "كتاب التحليلات" إلى العربية حتى أقبل على شرحه المترجمون والفلاسفة، فشرحه أبو بشر متى بن يونس، والكندى، والفارابى[4]. وعوّل عليه ابن سينا تعويلا كبيرا فى "كتاب القياس" من منطق "الشفاء".

(ب) كتاب القياس

يجرى على سنن ابن سينا فى أسلوبه الواضح، وعرضه المستقيم، ومنهجه المنسق. يشتمل على تسع مقالات تعالج نظرية القياس فى نواحيها المختلفة، وتحت كل مقالة عدة فصول. ويكاد يلتقى مع "كتاب التحليلات الأولى" خطوة خطوة، وإن كان

---

(١) ابن النديم، الفهرست، القاهرة، ١٣٤٨ هـ، ص ٣٤٨.

(٢) Catalogue des Manuscrits arabes de la Bibliothèque nationale, no. 2346.

(٣) الدكتور عبد الرحمن بدوى، منطق أرسطو، ج ١، القاهرة ١٩٤٨.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٤٨ و ٣٦٨.

أغزر مادة وأكثر تفصيلا، لأنه لم يقف عنده وحده، بل ضم إليه شروح المتقدمين والمتأخرين. ولا نتوقع من مشائى مخلص أن يخرج على أستاذه، أو أن يقبل فى يسر مايقترح من تعديل فى آرائه. وبالعكس جدّ ابن سينا فى أن يعرض نظرية القياس الأرسطية عرضا دقيقا ، اللهم إلا إن خانه التحقيق التاريخى ، فعزا إلى أرسطو ماليس من عمله. والواقع أن الأرسطية والمشائية اختلطتا فى العصر الهلنيستى والقرون الوسطى ، بحيث أصبحت التفرقة بينهما عسيرة .

١ — القياس وأنواعه :

عرف ابن سينا القياس بأنه " قول إذا ما وضعت فيه أشياء أكثر من واحد ، لزم من تلك الأشياء بذاتها لا بالعرض شىء آخر غيرها من الاضطرار[١] " ، وهو بهذا كأنما يأخذ عبارة أرسطو بنصها[٢] . فالقياس مجموعة قضايا أو مقدمات ، ولا بدّ له أن يشتمل على مقدمتين على الأقل ، وفى هـذا ما يميزه من التقابل والتناقض . والأقيسة المركبة يمكن ردها إلى أقيسة بسيطة مكوّنة من مقدمتين فقط[٣] . ويحاول ابن سينا أن يدخل فى القياس مثل ج = ب ، و ب = د ∴ ج = د ، ملاحظا أنه يتضمن أمرا محذوفا ، وهو : مساويات المتساويات متساوية[٤] " ، وهذا ما سماه فى مكان آخر " قياس المساواة "[٥] . إلا أنه ليس من اليسير دائما أن تردّ البرهنة الرياضية إلى مجرد قياس أرسطى ، ذلك لأن هذا

---

(١) ابن سينا ، كتاب القياس ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٥٤ .

(٢) Aristote, Premiers Analytiques, tr. Tricot, Paris 1936, P. 4.

(٣) ابن سينا ، كتاب القياس ، ص ٥٨ — ٥٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(٥) ابن سينا ، كتاب الإشارات والتنبيهات ، ليدن ١٨٩٢ ، ص ٦٥ .

القياس يقوم أساسا على علاقة الحمل والتداخل ، فى حين أن البرهنة الرياضية تقوم على علاقات أخرى كالمساواة واللامساواة ، والتلازم والتعارض .

والحد الأوسط أهم أجزاء القياس ، ولا سبيل إلى تكوينه بدونه . وبموضعه من المقدمات تحدد الأشكال المختلفة ، ولعله سمى حدا أوسط بسبب هذا الموضع . على أنه وسط أيضا بحكم وظيفته ، فهو الذى يربط المقدمتين ، ويسمح بالانتقال من حكم إلى آخر . وما القياس إلا حكم مصحوب بعلته ، والإنتاج فيه سير من معلول إلى علة[1] . وسمى "علم التحايل" ، لأن فيه مطلوبا أو نقطة بدء تحلل ويبحث عن مبادئها ، وما ينتج الشىء علة له من حيث هو نتيجة[2] .

وبالحد الأوسط يتميز القياس من القسمة ، لأن هذه وإن اشتملت على خطوات متلاحقة لا تعنى بربطها بعضها ببعض ، ولا بالبحث عن العلاقة بين حكم وآخر ، ومن الخطأ أن يقال إنها قياس أو سبيل إلى اكتساب القياس[3] . مثلا الكائنات حية وغير حية ، والإنسان كائن حى . والحيوان مائت وغير مائت ، والإنسان مائت . وهكذا نستطيع أن نستخلص صفات الإنسان من أمثال هذه التقسيمات ، ولكنا لم نبرهن على واحد منها ، بل افترضنا دخول الإنسان فى القسم الذى يلائمه[4] . وقد سبق لأرسطو أن سمى القسمة قياسا عاجزا[5] ، ويرى ابن سينا أنها يسيرة الجدوى فى عمدة القياس والإنتاج ، وكل ما تفيده أنها تنبه إلى ترتيب الفصول ،

---

(١) ابن سينا ، كتاب القياس ، ص ٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٥٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٥٥ — ٤٥٧ .

(٥) Aristote, Prem. Anal. L 46 a.

وما ينقسم إليه الشيء بالذات أو بالعرض[١] . ولم يستوقفه ما عنى به المحدثون من بيان مدى تأثير القسمة الأفلاطونية فى نشأة القياس الأرسطى ، بل لم يعرض لأفلاطون هنا ، ولم يجر اسمه على لسانه . وقد لاحظنا غير مرة أن معلوماته التاريخية محدودة وخاطئة أحيانا ، فيقول مثلا إن أرشميدس يبرهن على التعاليم ولم يكن المنطق فى زمانه محصلا[٢] ، مع أنه جاء بعد أرسطو بنحو مائة سنة .

وبالحد الأوسط يتم الإنتاج ، فهو الذى يعين على الانتقال من الكلى إلى الجزئى ومن العام إلى الخاص . وله — كسائر الكليات — مفهوم وما صدق ، وينظر إليه تارة من ناحية مفهومه ، وأخرى من ناحية ما صدقه . ويعنى أنصار المنطق الصورى بالتعويل خاصة على الماصدق ، لكى يبرزوا فكرة الأصناف وتداخل الجزئى فى الكلى . وبذا تصبح البرهنة آلية ، ويمكن التعبير عنها بدوائر هندسية على نحو ما صنع أيلر ، أو الرمز لها بألفاظ أو جمل منثورة أو منظومة تحفظ عن ظهر قلب . ويرى فريق آخر أن الحمل إنما يقوم على أساس الكيف لا الكم ، وأن تفكيرنا ينصب على صفات ومعان ، لا على أصناف وأنواع ، فأساس القياس المفهوم . تلك هى الخصومة المشهورة بين أنصار الماصدق وأنصار المفهوم ، التى طال فيها الأخذ والرد فى التاريخ الحديث[٣] .

لم تستوقف هذه الخصومة ابن سينا ، لأنه فيما يظهر ينظر مثل أرسطو إلى الحد الأوسط من ناحية المفهوم والماصدق معا . فيرى كما أشرنا من قبل أنه أمر مشترك بين المقدمتين ، ومعنى يربط حكمين أحدهما بالآخر . وأساس الحمل عنده

(١) ابن سينا ، كتاب القياس ، ص ٤٥٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٣) Madkour, L'Organon d'Aristote dans le monde arabe, Paris 1934, P.198-202.

الكيف ، وقد رفض من قديم محاولة إدخال السور على المحمول (Quantification du prédicat [1]) . إلا أنه من ناحية أخرى يقيم إنتاج الشكل الأول — وهو دعامة الأشكال الأخرى — على أساس من التداخل واندماج الجزئى فى الكلى[2] . وللسور شأن فى القياس بوجه عام ، بدليل أنه لا ينتج من جزئيتين ، ولا بد أن تكون إحدى المقدمتين كلية على الأقل ، وتتبع النتيجة الأخس فى الكم دائماً[3] .

والواقع أن القياس أوضح جزء صورى فى المنطق الأرسطى ، وفى تعريف أرسطو له وشرحه لكيفية إنتاجه إنما يعنى بصورة البرهنة . وقد لمس ابن سينا هذه الصورية وأشار إليها فى وضوح، ملاحظا أن تكوين القياس وعكسه وأشكاله وأضربه إنما تقوم على أساس صورى[4] . ولكن بجانب الصورة مادة أيضا . وإذا كانت هناك أقيسة علمية يقينية . فهناك أقيسة أخرى مشهورة وظنية فى ميدان الجدل والخطابة . والمفهوم والماصدق أمران لا ينفصلان ، لأنا فى تجريد المعانى الكلية إنما نصدر عن الأفراد لننتهى إلى صفات عامة ومشتركة . وثنائية أرسطو أعرف من أن نقف عندها ، لأنه يحاول دائما أن يجمع بين الواقعى والنظرى ، وباسم الحس والعالم الخارجى استطاع أن ينقض نظرية المثل الأفلاطونية . وهذه الثنائية واضحة كل الوضوح لدى ابن سينا ، فلم يقع فيما وقع فيه بعض المشائين من الغلو فى طرف أو فى آخر . وفى الحقيقة لا تعبر خصومة المحدثين حول

---

(1) Ibid , P. 189-190.

(2) ابن سينا ، كتاب القياس ، ص ١٠٦ — ١٠٧ .

(3) المصدر السابق ، ص ٤٢٦ — ٤٢٩ .

(4) ابن سينا ، كتاب القياس ، ص ٣ — ٩ .

المفهوم والماصدق عن رأى أرسطو،وليس فيها جدوى،ولم تخل من أخطاء[1].

*
* *

يقسم ابن سينا القياس إلى اقترانى لا يصرح فيه بأحد طرفى النقيض الذى فيه النتيجة ، واستثنائى يصرح فيه بذلك . والاقترانيات حمليات خالصة ، أو شرطيات خالصة،أو مكونة منهما . والشرطيات متصلة تارة،ومنفصلة أخرى ، أو مكونة منهما[2] . ولا تخرج الأقيسة ذوات الجهة عن هذه ، وكل ما ترمى إليه أن توضح جانب الوجود والواقع من ضرورة أو إمكان أو امتناع . ولهذا التقسيم أساس عند أرسطو الذى عرض للأقيسة الحملية ، ووقف طويلا عند ذوات الجهة،ولعله استعمل صيغة الشرط فى أمثلته دون أن يفصل القول فى الشرطيات. وقد تدارك هذا ثاوفرسطس والرواقيون الذين أسهبوا فى شرح الأقيسة الشرطية والاستثنائية . ولم يتردد ابن سينا فى أن يأخذ عنهم،ولكن فى شىء من التعديل، فهو يؤثر الشرطيات لأنها أقرب إلى الاستعمال وأشد علوقا بالطبع[3] . وينتقص القياس الاستثنائى الذى يعدّ جانبا هاما فى المنطق الرواقى ، ويقرّبه من المنطق الحديث . وهنا مرة أخرى لا يدرك فيلسوفنا الفوارق المدرسية، ولا يعنى بالتسلسل التاريخى . ويشير فقط إلى أنه وقع فى يده "كتاب فى الشرطيات" ، يعزى إلى الإسكندر الأفروديسى ، أو "فاضل المتأخرين" ، ويلاحظ أنه غير واضح ومملوء بالأخطاء ، ويرجّح أنه منحول[4] .

---

(۱) Madkour, L'Organon . P. 201-202.

(۲) ابن سينا ، كتاب الإشارات ص ٦٦ .

(۳) المصدر السابق .

(٤) ابن سينا ، كتاب القياس، ص ٣٥٦ .

ولسنا فى حاجة أن نشير إلى أن هذا التقسيم يقوم على أساس لفظى ، وكم خدعت اللغة المناطقة وعلى رأسهم أرسطو ، وقضت عليهم بفوارق ربما كانت سطحية . ولا شك فى أن تقسيم ابن سينا على ما فيه واضح وشامل ، ذهب إليه منذ عهد مبكر، واستقرعنده فى مؤلفاته الأخيرة ، وخاصة فى "كتاب الإشارات". ومع هذا يتابع فى "كتاب القياس" السنة المألوفة ، فيعالج أولا الأقيسة الحملية ، وينتقل إلى ذوات الجهة ، ومنها إلى الشرطيات ، ثم يختم بالاستثنائيات .

٢ ــ القياس الحملى :

هو قياس اقترانى بسيط يقوم على قضايا حملية ، ويتكون من مقدمتين فيهما شئ مشترك يسمى الحد الأوسط ، وغير مشترك يسمى الطرفين ، ومن غير المشترك تتكون النتيجة . وتسمى إحدى المقدمتين صغرى إن اشتملت على موضوع النتيجة ، وكبرى إن اشتملت على محمولها ، مثل : كل حيوان جسم ، وكل جسم جوهر ∴ كل حيوان جوهر[١] . وقد درج مناطقه العرب على أن يبدءوا بالصغرى ، ويثنوا بالكبرى ، على عكس ما سار المناطقة المحدثون ومناطقة الإسكولائية اللاتينية . وكأنهم تأثروا بوضع الأمثلة التى قدمها أرسطو للشكل الأول[٢] ، وهو وضع ييسر الإنتاج ويجعله شبه آلى .

وبحسب موقع الحد الأوسط فى المقدمتين تتحدد أشكال القياس ، لأنه إما أن يكون محمولا فى الصغرى موضوعا فى الكبرى ، أو بالعكس ، أو يكون محمولا فيهما ، أو موضوعا فيهما . وهذه القسمة العقلية تؤدى إلى أشكل أربعة لا يقبل

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٢) Aristote, Prem. Anal, 1,4, 25 b.

منها ابن سينا إلا ثلاثة ، فيقبل القسم الأول لذى يعبر عن الشكل الأول ، وهو أكمل الأشكال وأوضحها . ويرفض القسم الثانى ، وهو الشكل الرابع الذى كان موضع أخذ ورد ، لأنه بعيد عن الطبع ، ولا تكاد تسبق قياسيته إلى الذهن . وفى إثبات حجيته كلفة مضاعفة . ويقبل القسمين الأخيرين اللذين يمثلان الشكل الثانى والثالث ، وإن كانا أقل وضوحا من الشكل الأول[1] .

يبعد ابن سينا بتقسيمه هـذا قليلا عن المعلم الأول ، الذى حاول حصر أشكال القياس على أساس مدى انطباق الحـد الأوسط على الطرفين ، لأن ما صدقه إما أن يكون مساويا لهما ، أو أكثر شمولا ، أو أقـل ، فليس ثمة إلا أشكال ثلاثة ليس من بينها الرابع . ويشـير ابن سينا فى اقتضاب إلى أن جالينوس ، أو فاضل الأطباء كما يسميه ، يذكر الشكل الرابع[2] . ويؤثر هو ألا يعرض له وألا يدخل فى تفاصيله ، والـتزم ذلك فى منطق "الشفاء" ، وفى كتبه المنطقية الأخرى . فهو لم يجهله ولم يغفل الإشارة إلى موقف جالينوس منه ، كما زعم برنتل الذى أعوزته المصادر العربية[3] ، ولكنه لم يأخذ به .

وليس فى الشكل الرابع فى الحقيقة استدراك يذكر على أرسطو ، فقد وجه إليه[4] ، ثم جاء تلميذه ثاوفرسطس فتوسع فى أضربه[5] . وإذا صح أن جالينوس هو الذى قال به، فإنه لم يصنع شيئا أكثر من أنه وضع لهذه الأضرب اسما خاصا.

---

(١) ابن سينا ، كتاب القياس ، ص ١٠٧ — ١١١ .

(٢) ابن سينا ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٣) C. Prantl, geschichte der Logik, Leipzig, 1855-1870, t. I,P.571.

(٤) W. Ross, Aristotle, London, 1923, P. 35.

(٥) Prantl ; Op. Cit. 573-574.

ولم يصلنا من مؤلفاته شيء يوضح موقفه منه ، والمصادر العربية وحدها هي التي تعزوه إليه (١). ومع ذلك أبى كبار فلاسفة الإسلام أن يعترفوا بالشكل الرابع ، استمساكا بالتقاليد الأرسطية السليمة . ولم يأخذ به إلا مناطقة العرب المتأخرون، على غرار ماصنع مناطقة عصر النهضة والتاريخ الحديث (٢) .

يفصل ابن سينا القول في الأشكال الثلاثة ،فيشرح أضربها ، ويبين شروطها وكيفية إنتاجها . ويقرر أولا أن لاسبيل إلى إنتاج من مقدمتين سالبتين ، ولا من جزئيتين ، ولا من صغرى سالبة وكبرى جزئية إلا في الأقيسة ذوات الجهة ، وتتبع النتيجة الأخس دائما في الكم والكيف (٣). ويقتصر على الأضرب المنتجة، مبتدئا دائما بالمقدمات الكلية والموجبة . والشكل الأول عنده أكمل الأشكال لأنه ينتج الكلي والجزئي والموجب والسالب ، وأوضحها لأنه بين البرهان ولا يحتاج إلى دليل (٤) . ولا ينتج الشكل الثاني إلا سوالب بين كلية وجزئية ، ولذا جاء ترتيبه بعد الأول . ولا ينتج الثالث إلا جزئيات ، والكلي أنفع ولا شك من الجزئي في العلوم ، ومن هنا كان ترتيبه الأخير (٥) . ولكن هذين الشكلين أقل وضوحا في إنتاجهما من الشكل الأول ، ولذا يحاول ابن سينا — كما صنع أرسطو — أن يردهما عن طريق العكس إلى الشكل الأول ، وقد عيب هـذا الرد على نظرية القياس الأرسطية ، وعدّ نوعا من الدور (٦) . وبرغم أن ابن سينا لم ينتبه إلى هذا

---

(١) Madkour, L'Organon, P. 206-207.

(٢) Ibid., P. 208-247.

(٣) ابن سينا ، كتاب القياس ، ص ٤٢٦ — ٤٢٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١١٠ — ١١١ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١١٦ — ١١٧ .

(٦) Madkour, L'Orgaon, 213-214.

الدور ، فإنه يلاحظ ، كما لاحظ لاشيليه — حديثا — أن لهذين الشكلين وظيفة خاصة ، لأن من القضايا ما وضْعُه الطبيعي أن يكون سالبا ، ومنها ما وضعه أن يكون جزئيا ، فينبغي أن يكون ثمة وسيلة للبرهنة عليه كما هـو ، وإذن فهذان الشكلان ليس بمستغنى عنهما [1] .

٣ — الأقيسة ذوات الجهة :

أشرنا من قبل إلى ثنائية المنطق الأرسطي وجمعه بين الصورة والمادة ، والنظر والواقع ، والأقيسة ذوات الجهة أحد أمثلة هذه الواقعية المنطقية ، لأنها تحاول أن تبين مدى تحقق الحكم وجوبا أو إمكانا أو امتناعا . ولاشك في أنها دقيقة وغامضة ، وقد زادها الشراح تعقيدا حتى عدّت ضربا من التمارين المنطقية المملوءة بالأخطاء ،واستبعدت من كثير من المؤلفات المنطقية . ولكن ابن سينا يستمسك بها ، ويعالجها في كتبه المطولة والمختصرة ، فيقف عليها في " كتاب القياس " مقالتين أو يزيد ، في أكثر من مائة صفحة [2] ، ويشرحها شرحا مستوفى في كتابي " النجاة " [3] ، " والإشارات " [4] .

والقضايا نوعان : مطلقة،وذوات جهة ، وتتكون الأولى من الموضوع والمحمول والرابطة ، في حين أن الثانية يضاف إليها ما يبين نوع العـلاقة بين المحمول والموضوع ، هل هي ضرورية أو ممكنة أو ممتنعة ? وهـذه الإضافة هي الجهة ، ولا يفوت ابن سينا أن يشـير إلى اختلاف الشراح في تعريفها ؛ محاولا أن

---

(١) ابن سينا ، كتاب القياس ، ص ١١٩ — ١٢٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٤ — ٢٢٨ .

(٣) النجاة ، ص ٢٤ — ٣٩ .

(٤) الإشارات ، ص ٣٢ وما بعدها .

يقف بها عند حدود ضيقة[1] . والأقيسة ذوات الجهة ما اشتملت على قضية موجهة على الأقل ، فهى إما ذوات جهة خالصة ، أو مختلطة منها ومن غيرها . وهنا يسترسل ابن سينا – كما صنع أرسطو – فى عرض الأقيسة ذوات الجهة من الأشكال الثلاثة ، فى مقدماتها المختلفة بين ضروريات وممكنات وممتنعات ، ويبين كيفية إنتاجها وشرائطه . وقد سبق لثاوفرسطس أن يسر أمر هذه الشروط ، مقررا أن النتيجة فى الأقيسة ذوات الجهة تتبع أيضا الأخس فى الجهة كما تتبعه فى الكم والكيف. ولم يجاره ابن سينا فى ذلك ،ورأى أن للجهة حكمها الخاص[2] ، ويعارض جالينوس فيما ذهب إليه من أن " البحث فى المقدمات الممكنة هذر " ، لأن المطالب الممكنة لا تثبت إلا من مقدمات ممكنة . والأقيسة الطبية فى أغلبها ممكنة ، ومعظم ما ورد فى " كتاب الفصوص " لأبقراط يدور حول هذه الأقيسة[3] . وتلك أفكار تقرب ابن سينا من المحدثين ، بقدر ماتبعده عن رجال التاريخ القديم والمتوسط .

٤ – القياس الشرطى والاستثنائى :

أفتى المشاءون والرواقيون فى تأليف مقدمات وأقيسة شرطية على صور مختلفة ، بين متصلة ومنفصلة ، وعنادية وغير عنادية . وأسرفوا فى ذلك إسرافا طغى فيه اللفظ على المعنى ، واللغة على المنطق ، وقد أدرك ابن سينا هذا الإسراف . ولاحظ أن من ضياع الوقت أن ندخل فى تفاصيل أمور تخضع لأحكام عامة ،

---

(١) ابن سينا ، النجاة ، ص ٣٤ – ٣٥ .

(٢) ابن سينا ، كتاب القياس ، ص ١٢٥ – ١٢٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

ومع هـذا لم يسلم من ذلك . فعرض فى "كتاب القياس" — محاكاة للسابقين فى الغالب —فصولا فى الأقيسة الشرطية على غزارة مادتها قليلة الجدوى ، وتقع فى نحو ثلاث مقالات ، وأكثر من مائة وأربعين صفحة[١] . فيفصل القول فى أصناف الشرطيات، ويشرح فى إسهاب الأقيسة المؤلفة من متصلات ومنفصلات، أو من حمليات وشرطيات فى الأشكال الثلاثة بأضربها المختلفة ولم يعد إلى نفسه إلا فى مؤلفاته المختصرة "كالنجاة" "والإشارات"، وفيها يقف بالقياس الشرطى عند حدوده المقبولة ، دون أن يضيف جديدا إلى ما قال به المشاؤن والرواقيون من قبل .

والقياس الاستثنائى مؤلف من مقدمتين إحداهما شرطية ، والأخرى وضع أو رفع لأحد جزئيها ، وتسمى المستثناة ، وعنها تلزم النتيجة . والاستثناء إما من المقدم ، أو من التالى ، مثل : إن كانت الشمس طالعة فالكواكب خفية ، لكن الشمس طالعة ∴ الكواكب خفية . أو إذا كانت الشمس طالعة فالكواكب خفية ، لكن ليست الكواكب خفية ∴ الشمس ليست بطالعة[٢] .

ويستعرض ابن سينا الأقيسة الاستثنائية وأضربها المختلفة ، دون أن يخرج عما قاله ثاوفرسطس والرواقيون ، وإن عزاه إلى أرسطو[٣] . وكثيرا ما طغت شخصية المعلم الأول على غيره ، فنسب إليه ما ليس من صنعه . ويعيب فيلسوفنا على جالينوس أن خطأ أرسطو فى مثال ورد فى "كتاب النفس" يجرى مجرى القياس الاستثنائى ، ولا يتردد فى أن يقرر أن له "سبقا فى العلم الطبي ونكوصا فى المنطق"[٤] .

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٣١ — ٣٨٦ .

(٢) ابن سينا ، الإشارات ، ٧٨ .

(٣) ابن سينا ، كتاب القياس ، ص ٣٨٩ — ٤٠٧ .

(٤) المصدر السابق، ص٣٩٨ .

وقياس الخلف نوع من الأقيسة الشرطية والاستثنائية ويحرص ابن سينا على ضبط لفظ الخلف ، فليس بالفتح كما ظن ، على أساس أنه يأتي من الوراء والخلف ومن طريق النقيض ، وإنما هو بالضم بمعنى المحال ، لا بمعنى التخلف عن المواعيد ، "والأوقع عندي أن الخلف المستعمل هنا هو بمعنى المحال لا غير[1] " .

٥ — الاستقراء والتمثيل :

يقسم ابن سينا ، على غرار بعض المناطقة المعاصرين ، البرهنة إلى ثلاثة أقسام : قياس ، واستقراء ، وتمثيل[2] . ويقصر كما قدمنا البرهنة القياسية على قياس أرسطو ، فيقف بها عند تلك الحدود الضيقة التي وقفت عندها في التاريخ القديم والمتوسط . ويعد القياس الأرسطي أقوى الحجج وأسمى وسائل البرهان ، ويليه الاستقراء .

والاستقراء سير من الجزئي إلى الكلي ، أو بعبارة أخرى " الحكم على كلي بما وجد في جزئياته الكثيرة ، مثل حكمنا بأن كل حيوان يحرك فكه الأسفل عند المضغ ، استقراء للناس والدواب والطير"[3] . وهو لا يوجب العلم الصحيح ، لأنه ربما كان مالم يستقرأ خلاف ما استقرئ ، كالتمساح في المثال السابق . والاستقراء ضربان : تام وناقص ، والتام هو مااستقصيت جميع أفراده ، مثل : الإنسان والفرس والبغل قليل المرارة ، وكل قليل المرارة طويل العمر ، فالإنسان

(١) المصدر السابق ، ص ٤١١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٥٥ .

(٣) ابن سينا ، إشارات ، ص ٦٤ .

طويل العمر[1] . والانتقال هنا من الكل إلى الكل ، أو كما يقول المحدثون من الشيء إلى نفسه . والاستقراء الناقص ، وهو المشهور ، ماطبق فيه حكم بعض الأفراد على الكل ، ويستعمل فى التجربة ، ويحصل منه ضرب من اليقين[2] وفى هذا ما يكشف عن ابن سينا العالم والفيلسوف .

ويكاد يلتقى مع أرسطو فى كل هذا ، فهو يقول بالاستقراء التام الذى ورد فى "كتاب التحليلات الأولى" على صورة قياس من الشكل الأول ، وبالاستقراء الناقص الذى أشار إليه "كتاب طوبيقا"[3] ، وإن كان يعنى به أكثر من أستاذه. وقد زعم بعض الشراح ، أن النوع الأول لا يعد استقراء ، وأخذ بهذا جبلو بين المعاصرين[4] .

ويرى ابن سينا أن النوعين يقومان على أساس واحد ، وينتقلان من الأفراد إلى الكليات . ولاشك فى أن الاستقراء الناقص أقرب ما يكون إلى استقراء بيكون ، وإن كان الهدف مختلفا ، فإن ابن سينا وأرسطو إنما كانا يرميان إلى الكشف عن مميزات الجنس والنوع ، فى حين يحاول بيكون الانتقال من الظواهر إلى القوانين وتفسير الطبيعة تفسيرا عقليا .

والتمثيل حكم على جزئى بمثل ما هو فى جزئى آخر لمعنى جامع بينهما، فهوالحكم على شيء بحكم موجود فى شبيهه ، مثل العالم محدث لأنه جسم مؤلف كالبناء ، والبناء محدث[5] . ويسميه الفقهاء قياسا ، ويتكون من أربعة أركان : الأصل

---

(1) ابن سينا ، كتاب القياس ، ٥٥٧ . (2) المصدر السابق ص٥٦٦ .

(3) المصدر السابق ، ص ٥٥٩ .

(4) Goblot, Revue philosophique, Janvier,1911.

(5) ابن سينا ، النجاة ، ص ٩١ .

وهو المعروف حكمه ، والفرع وهو ما يقاس عليه ، والعـلة وهى وجه الشبه ، والحكم وهو نتيجة ذلك كله . ويحرص ابن سينا على أن يعقد فى "كتاب القياس" فصلا للقياسات الفقهية ، مبينا الصلة بينها و بين التمثيل المنطقى [١] .

وليس هـذا التمثيل إلا الـ πραδειγμα الذى قال به أرسطو ، فهو استدلال عن طريق المثال ، وهو أدنى طرق البرهنة ، ويفـترق عن الاستقراء فى أنه لا يوصل إلى تعميم ولا إلى حكم كلى [٢] . والتمثيـل فى الواقع ليس إلا خطوة فى سبيل الاستقراء ، أو هو استقراء شَبَه كما سماه هملان [٣] ، فليس قسيما للاستقراء ولا نوعا خاصا من الاستدلال ، ومهما يكن من أمره ، فإن ابن سينا يلاحظ بحق أنه كان ذا شأن لدى فقهاء زمانه .

*
* *

والآن نستطيع أن نقرر أن ابن سينا قد أخذ بنظرية القياس الأرسطية فى جوهرها وتفاصيلها ، يجلها و يعدّها أسمى صور البرهنة ، ويرى أنهـا وضعت كاملة بحيث لاتقبل زيادة ولا نقصا . فلم يسلم بذلك النقد الذى وجهـه إليها الشكاك من قديم ، وتوسع فيه نفر من المحـدثين . ونحى عنهـا إضافات بعض المشائين والمتأخرين كالشكل الرابع مثلا ، اللهم إلا ما لم يستبن فيه معالم التاريخ . وقد وفق فى عرضها عرضا مستفيضا فى "كتاب القياس"، وردّ على شبهات بعض الشراح المتقدمين والمتأخرين . وربطها ببيئته والحيـاة الفكرية التى أحاطت به ،

---

(١) ابن سينا ، كتاب القياس ، ص ٥٥٥ — ٥٥٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص٥٦٩ .

(٣) Hamelin, Année philosophique, Le raisonnement par analogie, 1902,P.28.

فأشار إلى محاولة الفقهاء الإسلاميين استخدام التمثيل المنطقى فى أقيستهم .

*
* *

وفى نشر "كتاب القياس" إحيـاء لتراث هام ، وكشف عن معلم من معالم المنطق العربى . وقد اضطلع بتحقيقه الأستاذ سعيد زايد ، الذى ضم إلى تخصصه فى الفلسفة خبرة واسعة فى النشر والتحقيق ، وصحبة طويلة لابن سينا فى "كتاب الشفاء" منذ سنة ١٩٤٩ . وشغل بهذا الجزء منذ سبع سنوات أو يزيد ، وعوّل فى تحقيقه على أحد عشر مخطوطا ، وكم صادفته روايات قلقة وتحريفـات فى الكلمات والأعلام الأجنبية بخاصة ، ولم يعدّل فيها إلا بقدر استمساكا بالأصل الذى صدر عنه . وها هو ذا "كتاب القياس" يخرج اليوم جليـا سهل المأخذ ، وفى نهايته فهـرس لمـا ورد فيه من مصطلحات . وإنى لأترك للقراء وعشاق ابن سينا أن يقدروا مابذل فى تحقيقه من جهد، وما اقتضاه نشره من بحث ودرس .

ابراهيم مدكور

رموز المخطوطات التى قام عليها التحقيق[1]

(١) ب = بخيت ٣٣١ خصوصية ،
٣٤١٥ بخيت بالأزهر .

(٢) بخ = بخيت (هامش) .

(٣) د = دارالكتب المصرية رقم ٨٩٤ .

(٤) س = سليمانية (داماد) ٨٢٤ .

(٥) سا = داماد رقم ٨٢٢ .

(٦) ع = عاشر رقم ٢٠٧ .

(٧) عا = على أميرى رقم ١٥٠٤ .

(٨) م = متحف بريطانى رقم ٧٥٠ .

(٩) ن = نور عثمانية رقم ٢٧٠٨ .

(١٠) ه = مكتب هندى رقم ٤٧٥٢ .

(١١) ى = ينى جامع رقم ٧٧٢ .

---

(١) لم نقدم وصفا للمخطوطات فى هذا الجزء ، فقد سبق وصفها فى الأجزاء التى تم نشرها من قبل .
(المحقق)